الافتتاحية

الدور المطلوب
من الفكر السياسي العربي

بقلم
ضياء رشوان
رئيس الهيئة العامة للاستعلامات

تمر الأمة العربية بفترة من أصعب الفترات في العصر الحديث، وتواجه تحديات جساماً ومخاطر من داخلها ومن حولها، هي في معظمها مخاطر وجودية للهوية العربية ولمستقبل العالم العربي كمنظومة قومية إقليمية متماسكة، ومع عظم هذه المخاطر، فإن أبرز الغائبين عن المشهد هو الفكر السياسي العربي، رغم أنه أكثر الأدوات المنشودة لاجتراح الحلول، والبحث عن المخارج، وصيانة ما تبقى من مقومات الهوية العربية الجامعة.

فالحقبة الناصرية شهدت اجتهادين ومنهجين من التفكير في التعامل مع جوهر قضايا الأمة، ووضعها في نصابها الصحيح، وإن انتصر معظم الفكر العربي للاتجاه القومي، خاصة في عصر عنفوان الثورات والاستقلال وتحدى الاستعمار الغربي وإنهائه.

منذ تلك الحقبة عقم الفكر السياسي العربي عن تقديم تصور متكامل تستعين به الأمة، يعيد تعريف الهوية العربية ومتطلباتها وفق معطيات العصر، ويقدم حلولاً لمعضلات النظم السياسية، للتعامل مع مكونات الشعوب العربية من قوميات وطوائف، ويعيد صياغة مفهوم الأمن القومي العربي وفقاً للتهديدات الراهنة والمستحدثة، ويقدم إطاراً مناسباً لمشروعات تنموية تتناسب مع ظروف الشعوب العربية، ويقدم رؤية

للتعامل مع "الآخر" سواء في داخل المجتمعات العربية، أو في دول الجوار العربي، أو إزاء القوى والمجموعات الدولية الأخرى.

في مقابل ذلك، تحول الفكر السياسي العربي في أحيان كثيرة إلى جزء من المشكلة وليس وسيلة للحل كما يجب أن يكون، وتخلى عدد من المفكرين والمتخصصين العرب عن رسالتهم القومية، وتحول بعضهم إلى تبرير سياسات هي أبعد ما تكون عن المبادئ الأساسية للقومية، وللمصلحة العربية العليا، خاصة منذ الغزو العراقي للكويت عام ١٩٩٠ وما تلاه والذي سجل انقساماً بين المفكرين العرب على نحو لم يلتئم بعد ذلك.

أما بعض المحاولات الجادة التي تبذل من آن لآخر لتشخيص حال الأمة، والبحث عن صياغة مقترحات للخروج من المآزق المتتالية، فإن تأثيرها يظل محدوداً، إما لأن ما تقدمه طروحات منقوصة، أو بسبب إغراقها في الأحلام القومية بمعناها الرومانسي الذي ينفصل عن الواقع ويواصل العيش في مرحلة الستينيات رغم التغير الجوهري في الظروف الراهنة عما كان آنذاك.

إن الأمة تتطلع إلى مفكريها المبدعين وتنتظر منهم مساهمات فعالة لتحقيق الانتقال المنشود لعبور واحدة من أكثر الفترات صعوبة وقسوة.

ولعل هذا ما دعا "آفاق عربية" أن تقدم في هذا العدد مساهمة أولية أثرتها مجموعة من أبرز المفكرين للبحث في المشروع العربي للنهضة المنشودة.